

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[599] إِنَّ آدَمَ وَحَوَاءَ كَانَا يَرِيدَانِ بِهَذَا الصَّنِيعِ أَنْ يَصِيرَا آلِهَةً، إِنَّهُمَا لَمْ يَرْغَبَا فِي أَنْ يَطِيعَا اللَّهَ، بَلْ كَانَا يَرِيدَانِ أَنْ يَعْمَلَا وَفْقَ رَغْبَاتِهِمَا وَمِيُولِهِمَا الشَّخْصِيَّةِ، فَمَاذَا كَانَتِ النَّاتِجَةُ؟ لَقَدْ وَبَّخَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى بِشِدَّةٍ، وَأَخْرَجَهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، لِيَعِيشَا فِي عَالَمٍ مَلِيءٍ بِالْعَذَابِ وَالْأَلَمِ وَالْمَحَنَةِ". لَقَدْ أَرَادَ مَفْسِّرُ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ هَذَا أَنْ يَبْرِرَ شَجَرَةَ التَّوْرَةِ الْمَمْنُوعَةِ، وَلَكِنَّهُ نَسَبَ أَكْثَرَ الذُّنُوبِ وَهُوَ مُضَادَّةُ اللَّهِ وَمَحَارَبَتُهُ - إِلَى آدَمَ ... أَمَّا كَانَ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ يَعْتَرِفَ - بِدَلِّ إِعْطَاءِ مِثْلِ هَذِهِ التَّفْسِيرَاتِ - بِتَطَرُّقِ التَّحْرِيفِ وَالتَّلَاغِبِ إِلَى هَذِهِ الْكُتُبِ الْمَسْمُومَةِ بِالْكَتَبِ الْمَقْدَّسَةِ؟! 3 - هَلْ ارْتَكَبَ آدَمُ مَعْصِيَةً؟ يَسْتَفَادُ مِمَّا نَقَلْنَاهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمَقْدَّسَةِ - لَدَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى - أَنََّّهُمْ يَعْتَقِدُونَ بِأَنْ آدَمَ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً، بَلْ تَرَى كُتُبَهُمْ أَنَّ مَعْصِيَتَهُ لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً عَادِيَةً، وَإِنَّمَا كَانَتْ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً وَإِثْمًا عَظِيمًا، بَلْ إِنَّ الَّذِي صَدَّرَ عَنْ آدَمَ هُوَ مُضَادَّةُ اللَّهِ وَالطَّمُوحُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ وَالرِّيْبُوبِيَّةِ، وَلَكِنْ الْمَصَادِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ - عَقْلًا وَنَقْلًا - تَقُولُ لَنَا: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَرْتَكِبُونَ إِثْمًا، وَإِنَّ مَنْصِبَ إِمَامَةِ النَّاسِ وَهْدَايَتَهُمْ لَا يُعْطَى لِمَنْ يَرْتَكِبُ ذَنْبًا وَيَقْتَرِفُ مَعْصِيَةً. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ آدَمَ كَانَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْإِلَهِيِّينَ، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ فَإِنَّ كُلَّ مَا وَرَدَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِثْلَ غَيْرِهَا مِنَ التَّعَابِيرِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ حَوْلَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ نَسَبَ إِلَيْهِمُ الْعَصْيَانَ، جَمِيعُهَا تَعْنِي "الْعَصْيَانَ النَّسَبِيَّ" وَ"تَرْكُ الْأَوَّلَى" لَا الْعَصْيَانَ الْمَطْلُوقَ. وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ عَلَى نَوْعَيْنِ: "الْمَعْصِيَةُ الْمَطْلُوقَةُ" وَ"الْمَعْصِيَةُ النَّسَبِيَّةُ"، وَالْمَعْصِيَةُ الْمَطْلُوقَةُ هِيَ مُخَالَفَةُ النَّهْيِ التَّحْرِيمِيِّ، وَتَجَاهُلُ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ الْقَطْعِيِّ، وَهِيَ تَشْمَلُ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ تَرْكِ الْوَاجِبِ وَإِتْيَانِ الْحَرَامِ. وَلَكِنْ الْمَعْصِيَةُ النَّسَبِيَّةُ هِيَ أَنْ يَصْدُرَ مِنْ شَخْصِيَّةٍ كَبِيرَةٍ عَمَلٌ غَيْرُ حَرَامٍ لَا